

دوافع وظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين، عرض لمبادئها وأهدافها

د. جمال بن زيان¹ د. كموش مراد²

¹المركز الجامعي لتيبازة- الجزائر ²المركز الجامعي لتيبازة- الجزائر

عانى الشعب الجزائري من ابشع استعمار استيطاني على مر التاريخ، وتعرض إلى عملية مسخ وطمس للمعالم والهوية لم يتعرض إليها شعب من الشعوب على مر العصور ، كادت أن تمحو وجوده من التاريخ لولا رحمة من الله أن بعث جمعية العلماء التي تعتبر حاملة لواء الإصلاح والمقاومة الفكرية والممهدة للثورة الكبرى التي أعادت للشعب الجزائري هويته ومقوماته وذلك من خلال مشروعها الكبير والعميق وهذا ما يدفعنا إلى التعمق في دوافع نشأة جمعية العلماء وأهدافها وأبعادها.

ظروف النشأة:

ظهرت جمعية العلماء المسلمين بحكم التأثير بالنهضة التي عرفها المشرق العربي، بعد حركة محمد عبد الوهاب في الحجاز، وجمال الدين الأفغاني في تركيا، ومحمد عبده في مصر، وشكيب ارسلان في لبنان. لتمتد هذه النهضة نحو المغرب العربي بحكم الارتباط الوثيق بين شعوب المغرب العربي والمشرق العربي والتواصل المستمر سواء من خلال التنقلات المستمرة للأفراد أو من خلال الهجرة التي ازدادت أسبابها ودواعيها بين سكان الجزائر نحو المشرق خاصة في الفترة الاستعمارية وذلك تبعا لعدة عوامل وأسباب نسرده البعض منها كالآتي:

- الهروب بالنفس خشية الموت أو جراء سوء المعاملة
- النفي المعتمد من طرف السلطات الاستعمارية
- الفرار بالدين كونه لا مجال لممارسة الشعائر في تلك الظروف

د. جمال بن زيان د. كموش مراد

- العجز عن مغالبة الحياة بعد استيلاء السلطات على كافة الممتلكات
- الرغبة في الاستزادة في العلم
- التضيق المستمر على العلماء خشية من إثارة الشعب

تحقيق المشروع:

بدأ ابن باديس نشاطه الدعوي والتدريس ابتداء من 1911 بسقط رأسه بقسنطينة، ثم انتقل في رحلته إلى الحج مروراً بسوريا أين أقام فيها لفترة طلبا العلم والاستزادة منه. وفي الحج وبالضبط في المدينة المنورة سنة 1912 تعرف على البشير الابراهيمي صديقه الحميم فيما بعد، أين قررا بدأ مشروعهما التوعوي وايقاظ الأمة. ثم بدأ ابن باديس في لم الشمل بالالتقاء بالطبيب العقبي بالعاصمة سنة 1924. يقول أحمد حماني: "فكر ابن باديس في انشاء حركة إصلاحية في سنة 1924 إلا أن المشروع فشل كون البيئة لم تكن مواتية ولم يكن الشعب مستعدا لاحتضان الفكرة". فعوض ابن باديس هذا الإخفاق بإنشاء الصحف والمجلات للتعريف بالمشروع وتحضير البيئة الملائمة وتجسد ذلك في 5 ماي 1931 بالنادي الترقى بالعاصمة بحضور العديد من وجوه الدعوة والحركة الإصلاحية يتقدمهم العربي التبسي والطبيب العقبي ومحمد خير الدين، وتم اختيار ابن باديس رئيسا للجمعية والشيخ الإبراهيمي نائبا له، وقد تصادف رمزية اختيار هذا التاريخ في الرد على السلطات الاستعمارية المسيحية التي احتفلت بمئويتها بالجزائر معتقدة أنها ضمنت استمرارها بالجزائر - فجاء الرد من الجمعية أن الأمة الجزائرية مازالت قائمة ولن تزول.

دوافع النشأة:

اعتمدت الجمعية برامج وخطط واستراتيجيات وليدة الظروف والأحوال التي تعيشها الأمة من جهة، وتماشيا مع القوانين المسطرة من طرف السلطات الفرنسية وذلك تفاديا للتصادم معها، فأى حركة غير محسوبة العواقب من طرف

دوافع وظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين، عرض لمبادئها وأهدافها

الجمعية قد تؤدي بها إلى الغلق والتوقيف. لذلك يقول ابن باديس: "إن الطريقة التي تنتهجها الجمعية في المطالبة بالاستقلال لا يقصد بها التعاطف مع فرنسا، إن هذه الأمة ليست فرنسا ولا يمكنها أن تكون فرنسا ولا ترغب أن تكون أبدا لفرنسا."

فالوضع المتدني من جميع النواحي للأمة بانتشار الجهل والامية، والجهل بالدين، مع انتشار الخرافات والأوهام وضياع اللغة العربية وفي هذا الإطار يقول الشيخ العربي التبسي: "هذا البرنامج تدرسه الجمعية لمدارسها بما فيها الشيوخ والتلاميذ وهي ترجو له أن يجد استعدادا قويا لمن ينفع وينتفع به، حتى تقدم هذه المدارس الدينية إلى مصاف المدارس التي تجمع بين ما في القديم من خير وما في الجديد من خير، وهو ما في عصرنا من معارف عامة ونظم مفيدة، ترفع غربة الابن الجزائري العائش بعقله في غير زمانه والمتخلف عن ركب أبناء وقته". وهذا ما دفع بالجمعية إلى استغلال الظروف لمعالجة هذه الأوضاع المتردية لقيام اسهامات متنوعة كانت كالآتي:

تأسيس المدارس:

بدأت الجمعية بإنشاء المدارس وفق للإمكانيات المتوفرة وفق للاستراتيجيات الموضوعية وذلك بمراعاة الأولويات من حيث المناطق والفئات المستهدفة في التعليم، بحيث نجد في عيون البصائر للإبراهيمي أنه كان عدد المدارس التي أنشأتها الجمعية 400 مدرسة سنة 1955 بحيث بلغ عدد التلاميذ 7500 طالب بين الذكور والإناث، ويبلغ عدد المعلمين 700 معلم. ومن أهم وأشهر المدارس التي أنشئت في مختلف ربوع الوطن نجد 7 مدارس:

- مدرسة ابن باديس بقسنطينة.
- مدرسة دار الحديث في تلمسان 1937.
- مدرسة الحياة في وهران.

- مدرسة التهذيب بالعاصمة.
- مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة.
- مدرسة الفتح بسطيف.
- مدرسة تهذيب البنين بتبسة.

بناء المساجد:

عانت الجمعية من صعوبة التمدد داخل المساجد، أو الحصول على مكانة فيها، فكل المساجد المتواجدة في ربوع الوطن كانت تحت إشراف السلطات الاستعمارية، وأعينها منتشرة في كل المساجد، لذلك سعت الجمعية في الحصول على مساجد مستقلة بعيدة عن أعين المستعمر واعتبرت أن المسجد من أهم عناصر نجاح برامج الجمعية. يقول ابن باديس 1935: "المسجد والتعليم صلوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام، فما بنى النبي في المدينة بيته حتى بنى المسجد وكان يقيم فيه الصلاة ويجلس لتعليم أصحابه."

تأسيس النوادي:

هي مكاتب للإجتماع يقبل فيها الرواد على موائد العلم والثقافة من خلال الأنشطة التي تدار بانتظام من محاضرات وندوات ولقاءات ودروس مسائية سواء كانت للخاصة أو العامة، وتنوعت هذه النوادي في مختلف مناطق الوطن يتقدمها نادي الترقى في العاصمة، ونادي مولودية قسنطينة لكرة القدم، والكشافة الإسلامية سنة 1935 بالعاصمة. كما اهتمت الجمعية بحالة المهاجرين وما يهددهم من خطر الإنسلاخ والاعتراب والذوبان في ثقافة الأوربي لذلك أرسلت المعلمين والمرشدين ابتداء من 1936، واستطاعت بذلك عن طريق هذه البعثات على مدار 3 سنوات أن تؤسس 1 1 ناديا موزعا على مختلف أحياء باريس يرتاده الكثيرون من أبناء الجالية في الغربية.

دوافع وظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين، عرض لمبادئها وأهدافها

مبادئ الجمعية ومآثرها:

قامت الجمعية بمجهودات جبارة طيلة الفترة الاستعمارية بغرس مقومات الشخصية العربية الإسلامية وأبرز التباين المفرط الذي كرسه المستعمر الفرنسي بين المعمرين والمواطنين الجزائريين، ومحاولة إدماج كل فئات الشعب في برنامجها ودون اقصاء لأي طرف وفق الشعار الذي ثبته الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا. فهذا الشعار هو القاسم المشترك بين الجمعية وجميع عناصر المجتمع الجزائري من سياسي حزب الشعب، وأحباب البيان. لذلك عملت على توحيد صفوف الشعب في العرق والفكر يقول ابن باديس: "إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرن ولم يتفرقوا وهم الأقوياء فكيف يتفرقوا وغيرهم القوي". لذلك سعت الجمعية لتجعل من الفرد الجزائري حرا وفعالا بأن تجعل منه صامدا ومتحديا ومقاوما.

كما أن الجمعية لم تأخذ بالقضية الإصلاحية مجزأة، إنما اهتمت بها ككل متكامل، وقد استوحت فكرها الشمولي من شمولية الإسلام، بحيث شرعت في عملية الإصلاح وفق لمبدأ الأولويات بدأ بنشر العلم وتطهير الدين ثم تكوين مجتمع قادر على أداء الواجبات، فبعد تشبع المجتمع بالفكر الدين صار واعيا وتكونت لدى أفرادها تلقائيا مفهومية الجهاد، وقام بتأدية واجباته نحو وطنه عفويا. يقول الهادي الحني: "أن السلطات الأمنية الفرنسية اعتبرت أن مدارس الجمعية هي خلايا سياسية، وإسلامهم الذي يمارسونه مدرسة حقيقة للوطنية". ويقول أيضا وفقا لقول السلطات الفرنسية دائما: "إن العلماء يمثلون أكبر خطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر."

وفي الأخير يمكننا أن نعتبر أن المبدأ الذي قامت من أجله الجمعية هو الاستقلال وجعل الفرد الجزائري حرا فالبرغم من كونها لم تصرح بالأمر ضمنيا لكي لا

د. جمال بن زيان د. كموش مراد

تتعرض إلى المضايقات من طرف المستعمر ألا أن قادتها أظهروا ذلك في أقوالهم أو في بعض تصرفاتهم إذ يقول ابن باديس سنة 1936:

"أيها الشعب الجزائري إنك بعملك العظيم برهنت أنك شعب عاشق للحرية تلك الحرية التي ما فرقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها وسنعرف في المستقبل كيف نعمل وكيف نحيا لأجلها". وهذا ما تجده في قوله صراحة لمن أعيش ؟ أعيش للإسلام والجزائر، أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني به روابط الماضي والحاضر والمستقبل، وأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منها مباشرة. إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا."

دوافع وظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين، عرض لمبادئها وأهدافها

خاتمة:

لعبت الجمعية دورا مهما في إعادة بعث القومية الجزائرية بعدما كادت أن تختفي، في ظل الطمس والتحريف التي تعرضت إليه في صميم مقدساتها ورموزها من دين ولغة وتاريخ، لذلك ظهور الجمعية يعتبر مشروعا ناجحا في الوقف من النزيف الذي كان يتعرض إليه المجتمع الجزائري في هويته وشخصيته وإعداد الفرد لتحمل مسؤولياته والإيمان بقدراته وبناء طموحاته لتحقيق ذاته ووجوده ثم نيل حريته واستقلال وطنه وقد تأتي ذلك في النهاية.

المراجع:

- 1- بواشري أمينة، أهمية العامل الفكري في تشكيل الهوية واسترجاع الحرية - الجزائر، نمونجا- جمعية العلماء المسلمين ودورها في إشعال فتيل الثورة التحريرية 1931-1962 ، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط1.
- 2- عجالي كمال، الفكر الإصلاحي في الجزائر، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، الجزائر، شركة مروار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005.
- 3- ديدونة علي، المنظومة التربوية في الجزائر بين الأصالة والاستئصال، الجزائر، دار نوريد، ط1، 2006.
- 4- الإبراهيمي البشير، عيون البصائر، مجموعة مقالات، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.